هذا ومن المعلوم ان اكثر موتانا يدفنون يوم وفاتهم . وواضح مما تقدم انهُ يحسُن ان البعض منهم لا يكونون قد ماتوا حقيقةً فيدفنون وهم في قيد الحياة واطباؤنا ليسوا امهر من اطباء الاوربيين في الاستدلال على الموت افلا تنتهي الحكمة والشفقة ان تجاري الاوربيين في اقامة دور يوضع فيها الذين يشتبه في موتهم حتى اذا كانت الحياة لا تزال كامنة فيهم تظهر قبل ان يواروا الثرى ويقطع الرجاء منهم

علوم اليونان وآدابهم

لا ينكر الاوربيون على اليونان انهم مصدر علومهم وفنونهم وان اليهم تنتهي حضارتهم الاَّ ان في ذلك نظرًا حدس به بعض الباحثين من ان اليونان انفسهم اخذوا حضارتهم عن الامم الشرقية من مصريين واشوريين وفينيقيين على ان ذلك القول لا يقدح بالمكانة التي ادركوها لان مضاء عقولهم وذكاء نفوسهم حتَّما انتهى اليهم من سابقيهم وصيغاهُ بصبغتهم اليونانية فزادوا فيهِ من عندياتهم اشياء صيَّرت جرثومة الاصل في حكم الخفيّ عن الانظار ثم اتصل منهم شيءٌ بالامتين الرومانية فالعربيَّة ومنهما باوربا حتى اذا انار ذلك الشيء بعض عقول ساكنيها طلبت المزيد فتوافت لاحرازهِ والتوسع فيهِ حتى رسخت اقدام الحضارة العصريَّة

ولقد مرَّ على الامة اليونانيَّة زمن جاهليَّة سرحت فيهِ قبائل البلاسجيين في الاقطار اليونانية بعد ان طفوها من الشرق منبت اصلهم اذ هم من الآريين الذين هاجروا الى اوربا في اقدم العصور فاحتلَّ فريقٌ منهم بلاد اليونان ونزل فريق آخر ايطاليا وذلك حوالي القرن العشرين قبل المسيح

ولا تعلم حالهم يومئذٍ لخلوِّ التاريخ من نبإٍ صريح عن شؤونهم وانما يظن انهم بلغوا منازلهم بعد ان خرجوا من حال الفطرة الساذجة بل ربما كانوا قد حملوا من مواطنهم الاولى شيئاً من معرفة شؤون الحياة والاجتماع يدلُّ على ذلك اعتمادهم بحرث الارض واستغلالها وبناؤهم المدن وحياطتها بالاسوار وقيام الحكومة المنظمة فيهم واشتراع السنن والقوانين مما لا يتأتَّى للفطريين الاَّ وقد تجاوزوا العصبيَّة . على انهم لم يكونوا يحظرون على انفسهم مخالطة الناس والانتفاع بما عندهم من الحضارة يدل على ذلك تقدمهم في شؤون الحياة تدريجاً بما اخذوهُ عن غيرهم وما اختلفت لهم عقولهم من ايجاد ما يحتاجون اليهِ . على ان اخذهم عن الغرباء مستفيض الرواية في التاريخ ومؤيد بالقدم التقليد عهدًا اذ يقال انهُ جاءهم اقوام من المصريين

والفينيقيين والفريجيين فنزلوا بلادهم وملكوها وعلموهم آدابهم . اعتبر ذلك باسطورة عجيب مكروبس المصري بما حمل من صناعات قومه وعلومهم وحكمة كهانهم وباسطورة نزول قدموس (قدموس) الفينيقي بين ظهرانيهم حاملاً الحروف الهجائية وكذلك بما يروى عن نزول بيلوبس الفريجي في جنوبي بلادهم واتصالها باسم مشتق من اسمه فهي بيلوبنسوس . على ان هذه الاساطير كغيرها من امثالها لا تصدق بمجملها الحرفي بل يعتمد منها مغزاها ولذلك يرجح ان القصد من وضعها الاشارة الى المواضع التي اخذ اليونان عنها علومهم وآدابهم وسواء كانت هذه الاساطير انباء صحيحة او مجرد اشارات فانها لا تدل على اخذهم شيئاً عن سكان ما بين النهرين مع ان ذلك من رأي جماعة من الثقات وتراه مؤيداً بالشبه القريب بين صناعات الفريقين

ثم اشتد ساعد اربع قبائل يونانية في الايولية والاخية والايونية والدورية وكانت منازلهم في بقعة من ايجوس اسمها هلس فسموا بها الهلينون وكانوا اهل حرب وبأس ذوي عقول ثاقبة وذكاء مفرط ولذلك سبقوا سائر ابناء اروبتهم فخرجوا من بلادهم مضطرين وانتشروا في سائر البلاد اليونانية سيما او حراً فما لبث ان جاراهم البلاسجيون واندمجوا فيهم واطلق عليهم جميعاً اسم الهيلانيين وتسمت بلادهم هلاس واما علوم القوم وآدابهم والفنون التي انتشروا فانا نفصلها تفصيلاً موجزين على قدر الاستطاعة

﴿ الهندسة ﴾ ان البناء من الحاجيات الاولى للانسان على ان الارتقاء في هندسته امر تقليدي ومزيج منهما بمعنى ان يقلد بناء بناء آخر ثم يزيد عليه ما يخرجه عن ذلك الاصل المقلد . وعلماء الهندسة اليوم يعرفون للبنايات اليونانية القديمة ثلاثة ضروب اولها اقدمها عهداً وهو ما كانت الحجارة فيه كبيرة الحجم لم يسها ازميل العامل ثانيها ما كانت الحجارة فيه مهندمة على غير انتظام في شكلها ويغلب فيها كثرة الاضلاع ثالثها ما نحتت الحجارة فيه على شكل قائم الزوايا ثم صفت صفاً منتظماً

ولا خفاء ان معظم مظاهر هندسة البناء قائم بآثار الهياكل والمعابد حيثما كان المتأدبون يبذلون مبلغ جهدهم في تزيين معابدهم واحكام صنعها ولذلك تحسب هياكل كل امة معرضاً لهندسة ابنائها

وكان اليونان في اول تعمير بلادهم يعبدون اربابهم في هياكل لا تبعد كثيراً عن مساكنهم مشابهين في ذلك المصريين الذين جعلوا الكهوف معابد لاربابهم قبل ان اهتدوا الى البناء بالحجر اما اليونان فكانوا يجعلون اصنامهم في مخاريب الشجر ويقيمون لها العبادة

وظلوا على هذا حتى اهتدوا الى بناء كواخهم من جذوع الاشجار فاصطنعوا مثلها لاربابهم ومن ثم تحلوا الحجر بديلاً من غصون الشجر ونقلت لهم حقولهم الوسع في قسيه واستباط اصولهم فلم يمض عليهم زمن طويل الا شادوا الهياكل الفخام والبنايات العظيمة واحكموا هندستها وما عتمت طريقتهم الهندسية ان صارت ضرباً من ثلاثة دورية وايونية وكورنثية فاما الدورية فعبارة عن عُمُد من غير قاعدة ترتكز عليها وتاجها بسيط من غير ضخامة والايونية ترى تيجان عمدها منقوشة نقشاً شتى تقنية لولبية والكورنثية بكثر في تيجانها النقش المثل ورق نبات شائك

فلعمد الفعل الاول في الهندسة اليونانية ووجودها يدل الباحث على انها انما صارت ركناً من اركان هندستهم لانها اثر لانشائهم المعابد الشجرية قديماً اذ كانوا يومئذ يجعلون العُمُد حول المرقع ثم يغطونها بغصون الشجر فلما صاروا الى بناء الحجر تفننوا في تزويرها بالنقش وتسييقها ليمثل لهم ما كانوا فيه وظلت العمد من اركان بنائهم

ومن اهم البنايات اليونانية التي لفتت اليها انظار العالم القديم هيكل افسس المحسوب من عجائب الدنيا فان المهندسين والصناع بدأوا فيه في القرن السادس ق.م وظلوا يعملون فيه بنائه وزخرفته وتزيينه داخلاً وخارجاً مدى مئتين وعشرين سنة شاء تحفة للانظار . ولم يكن كل اثار الهندسة اليونانية بل اشهر ثم هيكل دلفي والاكربول والبرثينون وغيرها وناهيك بالمدفن موزوليوم وغيره

﴿ الحفر والنقش ﴾ الا ان براعة اليونان في الهندسة لم تعطهم قصب السبق في مضمار البناء وانما احرزوا السبق والتبريز في الحفر والنقش واظهروا للعالم من آثارهم ما لا يباريهم فيه احد . ولقد كان لهم من اساطير معبوداتهم ومخرصات رواتها مواضيع جليلة تمرح فيها اقلام مصوريهم وازاميل النقاشين والحفارين منهم فلا تجارى . ولقد كانوا في بدء امرهم يحفرون وينقشون على الخشب ولكن لما استعملوا الرخام والنحاس ظهرت حذاقتهم ولقدست صناعتهم خصوصاً واسعة لا سيما بعدان صار الصناع يطلبون لزخرف المعابد فاتسع لديهم مجال العمل

وكان من اهم فنانيهم في القرن الخامس ق.م فيدياس النحات المشهور وله مشاركة في هندسة البناء والنقش والحفر فابدع ما اصطنعهُ من التماثيل للارباب العظام اشهرها تمثال المعبودة اثينا والمعبود جوف اوزئس او لبوس وكلاهما من الذهب والعاج وله غيرهما كثير من التماثيل الرخامية والنحاسية

وفي القرن الرابع نحات آخر اسمهُ براكسيتلس اصطنع تماثيل اخرى بديعة الزخرف

واشتهر بعده ليسيبوس عمل كثيرًا وعلّم جمهورًا من التلامذة اشهرهم شارس صانع تمثال رودس المشهور ويلي هؤلاء النوابغ جماعة من كبار المصورين والنحاتين ممن عقدت على براعتهم الخناصر

وليس الغريب في نبوغ بضعة رجال من مشاهير الصنّاع بل في تقدير الامة لاعمالهم وتهافتها من كبيرها الى صغيرها على اجلال عملهم وتعظيم نتاج براعتهم وانزالها من منازلهم ومعابدهم ومجتمعاتهم محلاً رفيعاً. وهذا رفع الفنون الجميلة اليونانيّة الى مرتبة سامية لان الناس مولعون بالتأثر للرأي العام في اعمالهم فان رأوا منهُ استهجادًا لما يصنعون زادوا اتقانًا وهذا سرّ نجاح اليونان وكون عملهم في النقش والحفر لا يجارى وهو حتى اليوم نقطة الدائرة التي يرجع اليها ويعوّل في معرفة جمال العمل عليها

﴿ الشعر ﴾ لولا اني اقصد التنويه بكل ما عرفنا عن الآداب اليونانيّة لاحجمت عن ذكر الشعر بعد ان كتب فيهِ العالم المحقق سليمان افندي البستاني لان كتابهُ جمع فاوعى وانما حسبي ان الم بالموضوع الماماً

فلقد كان للشعر اليوناني زمن الجاهليّة شأن عظيم اذ نبغ في الامة جماعة من فحول الشعراء اشهرهم هوميروس الذائع الصيت الذي اختلف المؤرخون في زمن نبوغهِ فرجح بعضهم انهُ كان في اواسط القرن التاسع ق. م ولم يتفق رواة اخبارهِ على البلد الذي ولد فيهِ لان مدناً كثيرة ادّعت انهُ من ابنائها . ومما يقال فيهِ انهُ كان يطوف البلاد ويتغنى بشعرهِ وانهُ كفّ بصرهُ في اثناء تطوافهِ . واشهر قصائدهِ اثنتان الالياذه والاوذيسي نظم الاولى في ما اصاب اليونان من الاحن لغضب اشلس واندفاعهم لحصار تروادهِ وهي التي عرّبها سليمان افندي البستاني ونظمها شعرًا عربيًّا وقال هوميروس القصيدة الثانية في ما قاسى البطل اوليس من الميه سيفي البحار وهو قافلٌ الى وطنهِ ايثاكا بعد فتح تروادة

والقصيدتان غاية في البلاغة الاّ ان الالياذة ارفعهما منزلةً وكأنها بيت القصيد في الشعر اليوناني بل في شعر كل الامم الغربيّة على ما يقول بعض الافرنج لانهم يحسبون شعرهم مستقى من القريض اليوناني وان الفضل للمتقدم

على ان الجاهليّة اليونانيّة كانت حتى يومئذٍ لم تعرف الكتابة ولم تأخذ حروف الهجاء فظلت تلك الاشعار تحفظ في الاذهان وتنقلها الشفاه عصورًا متطاولة كما كان الحال في الامة العربيّة زمن جاهليتها ولهذا يظهر بعض النقدة ان الشعر المنسوب الى هوميروس لم يكن كلهُ لهُ بل لا بدّ ان يكون قد اختلط بهِ شعر آخر لسواهُ واتسع لغير واحد من المشككين مجال

الريب فانكر وجود الشاعر وحسب القريض المنسوب اليهِ من نظم كثيرين من الناس صبحوا في بحار الخيال فتلقوا حروب ترواده وابطالها وما حدثاك من المشاهد والآراء والاقوال وليس هناك حرب ولا رجال ولكنها تخرصات اوهام الشعراء الاَّ ان هذا القول والمن قبلهُ جماعة من الثقات فانهُ اصبح مردودًا بما اظهرتهُ الابحاث في مرقبي تروادة وميسينيا من الآثار الناطقة بصدق بعض الوقائع فانجذب المحبون بهوميروس برهانًا على صحة وجوده وشاعريته وصدق قولهِ وشكروا عناية الدكتور شليمان مكتشف تلك الآثار

ومهما يكن من شأن ذلك القريض فانهُ ان صحت نسبتهُ الى هوميروس او لا فوجودهُ بين ايدينا دليلٌ على علو طبقة ناظمهِ بين الشعراء وانهُ نتاج القريحة في زمن الجاهلية حين لم تكن الفيلة مشغلةً بمشاهد الحضارة الراقية

وبعد هوميروس عصرًا ومقامًا الشعراء هيسيودس وبندار والسيوس وافاكريون والشاعرة سافو

﴿ التخيل ﴾ كان اليونان لما جاءوا من موضع هجرتهم قد حملوا من عقائد امتهم الآريَّة شيئًا من عبادة السلف وذلك ظاهرٌ من انهم كانوا يحسبون الحياة هي كل الغاية من الوجود وان الموت عدمٌ فهو اذًا خطب جلل لانقطاع الانسان بهِ عن ملاذ الدنيا وبهجتها الاَّ انهم يقولون بوجود مكانٍ يسمونهُ رياض الهزه في ما وراء مغيب الشمس فيهِ كل المسرات والملاذ ومعدات الزفِّ والرغد ولكن لا يأتيهِ بعد الموت الاَّ بضعة مختارة من اهل الفروسيَّة ومن المحسنين لامتهم بخلاف سائر الناس فانهم يذهبون الى حيث يصيرون اشباحًا ضعافًا غير فاعلين وغدًا وان الارواح التي يسمونها خلالاً كانت تستمر تائهةً في الجحيم حتى تُدفن الجثة ولذلك كان القوم يحسبون الدفن عزيزًا كريمًا غير ان روح الميت لا تلقى ارتياحًا في مقرها الابدي الاَّ اذا استمر الاحياء يجرون الالعاب التي كان يسر بها في حياتهِ فكان الناس يقيمون الالعاب لمسرة الموتى وارتياحهم وهذا هو السبب في ميل اليونان الى الالعاب

ولما راجت بضاعة الشعر عندهم واشرأبت اعناق الامة الى سماع جيدهِ والتغني باطاييهِ نشأ من جملة الالعاب تمثيل الحوادث التي تخيَّلها الشعراء وكان الناس يجلسون الساعات الطوال في الخلاء يتمتعون العين برأي المشاهد والاذن بسماع الشعر البليغ وكانت حكومتهم تميل ميلهم لما رأت بلغ تأثيرهم من التخيل فصارت تساعد الممثلين بالمال

الاَّ ان نشأة هذا التخيل لم تكن في زمن الجاهلية بل بعد ان استنارت البلاد بانوار الحضارة وانعمران عقيب الحرب التي اشتعلت بين اليونان والفرس . ونشأ بينهم كثيرون من الكتاب المجيدين كاشيلس وسوفوكلس واوريبديس فانصرفوا الى وضع الروايات التخيلية

وابدعوا في صوغها قواجع تثير العواطف وشلهم بغ فيهم اريسطوفانس فكتب الروايات البديعة من المضحكات اودعها كثيراً من الجد في قالب الهزل

﴿ الخطابة ﴾ كانت الخطابة عند اليونان من مستلزمات مجتمعهم فبرعوا فيها واكتسبوا بالمراس عليها وبتحري حسن البيان ملكة البلاغة فعلت بخطبائهم مكاناً رفيعاً اعتبر ذلك بما ذاع عن ثيوستكلس وبريكلس واعظم منهما ديموستنس الذائع الصيت الذي تغلب بصبره ومراسه على ضعف صوته وتلعثم لسانه فاصبح وهو الخطيب المصقع الذي ترنح لذكره المنابر

﴿ الفلسفة والعلوم ﴾ ولم يقتصر اليونان على احراز قصب السبق في ما تقدم ذكره من الآداب بل كان لهم التدح المعلى في الفلسفة وقد نشأت عندهم حين استنارت العقول وانطلقت الاذهان فاجالوا خواطرهم في عقائدهم وارائهم وتفلسفوا في القواعد والاصول حتى يرزوا في ارائهم المجردة ليس فقط في الدين بل في سائر الموجودات وقد اختلف المؤرخون في نشأة الفلسفة عندهم فمن ذاهب الى انها من اوضاعهم ومن قائل انها في الاصل من المصريين او من غيرهم من امم المشرق . اما العلوم فقد خاضوا عبابها الا انهم لم يبرعوا فيها براعتهم في الفلسفة لانهم كانوا يحسنون التخيل والتجريد الفلسفي حتى انصلوا الى اسمى نتائج المعقولات ولكنهم لم يكونوا يعرفون طرق التجربة والامتحان كما تعرف اليوم فلم يهتدوا الى معرفة قواعد العلم الطبيعي التي وضعت في العصور المتأخرة ولذلك صدق فيهم قول من قال ان اليونان معلمو الفلسفة للعالم ولكنهم لم يكونوا يعرفون من العلوم الطبيعية ما يعرفهُ اصغر تلميذ في مدارس عصرنا

وهذا القول المطلق لا يؤخذ بهِ على علاتهِ بحيث يفهم منهُ انهم كانوا لا يعرفون من العلم الطبيعي شيئاً لان الثقات يعترفون لهم بالاشتغال في الطبيعيات ويستشهدون على تقدم الرياضيات عندهم بجدول الضرب المنسوب لفيثاغورس وبكتاب اقليدس الذي خلد في الهندسة اسمهُ فضلاً عن ان لارخميدس ذكراً مشهوراً يستنتج منهُ ان قدمهُ في الطبيعيات كانت راسخة

﴿ التاريخ والجغرافيا ﴾ اشتهر اليونان ايضاً بعلم التاريخ وان انكرهُ عليهم كهنة المصريين وقالوا انهم فيهِ كالصبية الصغار . وعهد اليونان بالتاريخ يرتقي الى اول زمن تعلموا الكتابة وشروعهم بالتأليف نثراً حوالي القرن السادس ق . م

ومن اشهر مؤرخيهم واقدمهم عصراً ثلاثة من النوابغ وهم هيرودوتس وثيوسيديدس واكسنفون ويلقب الاول بابي التاريخ وقد ساح في انحاء العالم المعروف يومئذٍ اي في ايطاليا ومصر وسوريا وبابل وحقق ما استطاع الى التحقيق سبيلاً وكتب تاريخهُ وهو ثقة في ما

رأى الآلهة بالغ احياناً ويتهافت على تصديق ما يسمع من غير تحريج بخلاف ثيوسيديدس فانهُ اقتصر على نقد الروايات وتمحيصها وابداء الملاحظات

واشهر من نبغ من علماء الجغرافيا عند اليونان سترابون وكلوديوس وكلاهما يُعتمَد في معرفة الخطط القديمة ويستشهَد به حتى اليوم

ولعلَّ كلامنا هذا على ايجازهِ قد بيَّن مكانة الامة اليونانيَّة من الفلسفة والعلوم وانها فازت بجملة العالم المتمدن عن جدارة فانك ترى في مؤلفات علماء العصر شواهد وانتباسات ونقولاً كثيرة عمَّن سبقهم من اليونان فاحرِ بقوم هذا مقامهم العلي ان يتسنموا غارب الشهرة التي لا تقوى الدهور على تقويض اركانها ر . ي

المتحف الاميركي للآثار المصرية

قرأنا في مجلة السينتفك اميركان نبذةً عن الآثار المصرية التي وجدتها بعثة جامعة كليفورنيا فاخذنا عنها ما يأتي تلخيصاً

انتهى الى جامعة كليفورنيا التقرير النهائي الذي بعث به اليها الدكتور ريزنر Dr. J. G. Reisner بعد ان قضى نحواً من ست سنوات عاملاً مجدًّا في الحفر والتنقيب وجمع ما يتسنى لهُ العثور عليهِ من الآثار المصرية ليزدان بها متحف عزمت الجامعة المشار اليها على اقامتهِ لافادة الطلاَّب

وقد اصحب لتقريرهِ بعثات من الصناديق الناقلة الآثار الثمينة فكشف عنها الغطاء ورتبت ليسهل اجتناء فوائدها على رغَّابها

ومما بعث به اشياء كثيرة يستدل منها على تدرُّج الصناعة في الارتقاء من العصر الظروي فدى ازمنة اتقانها في عصر سلالة خوفو حتى زمن انحطاطها عندما اصبح وادي النيل عالةً رومانية

والباحث المدقق يرى اثر الرقيّ ظاهراً على الخزف والحفر والتماثيل والكتابات التي وجدت في المدافن ومواقع المدن القديمة مما يتشعب زمانهُ الى القرن السبعين قبل المسيح

غير ان اهم مكتشفات الدكتور ريزنر ما وجدهُ في المدافن السابقة زمن التاريخ وهي المعروفة بمدافن نجع الدير وهي البقعة المظنون بها اول موضع طرقتهُ الجالية التي عمَّرت القطر المصري وموقعها على بعد نحو ثلثمئة ميل الى الجنوب الشرقي من القاهرة على تخوم الصحراء الشرقية . وهي موضع لم ينل حتى الآن عناية احد من الباحثين فيهِ . على ان هذه البقعة وما